ولا نعرف إن كانت الجبهة اللبنانية تريد أن تخدع أحداً سواها عندما تخاطب أوروبا والغرب بعد تسمية دولها واحدة واحدة حتى وصلت الى نيوزيلندا، وتقول: «**نخاطب هذه الدول والشعوب بثقة وأمل، لان نظمها ونظراتها وقيمها جميعا، هي النظام والنظرة والقيم اللبنانية نفسها: نظمها ديمقراطية حرة، ونظامنا ديمقراطي حر، قيمها قيم الحرية والانسان، وهذه هي قيمنا بالذات**».

أكثر من ذلك ورد في صرخة الاستغاثة: «**نؤمن بالقيم ذاتها التي أنتم بها تؤمنون، إننا عريقون كما انتم عريقون. حاربنا وتحارب، ومتنا وتموت، من أجل النظرة الى الحياة ذاتها التي من أجلها انتم حاربتم وتحاربون، متم وتموتون. حربنا حربكم، واذا اندحرنا فيها فلا نندحر وحدنا فحسب بل انتم أيضا المندحرون**».

صدقا، يحتار المرء من أين يبدأ في الرد على هذا الكلام. فهو كلام يظلم العقل والحقيقة قبل أي شيء، ثم يظلم اللبنانيين كما يظلم الغرب ذاته.

أولاً: ان هذا التبسيط الساذج في تصوير «**النظام والنظرة والقيم**» في دول الغرب وكأنها نسخ طبق الأصل عن بعضها البعض تتجاوز الحقائق التاريخية والراهنة. فلكل من هذه الدول، رغم ما يربط بينها، شأن ما يربط كل دول العالم، تراثها وتاريخها ونظراتها والقيم التي صارعت من أجلها. ويكفي ان هذه الدول انقسمت مرتين على ذاتها وخاضت الواحدة منها تلو الاخرى حربين ضروسين في أقل من عشرين سنة ولم تحل «**النظرة والقيم والنظام**» الواحدة بينها – على رأي الوثيقة – دون تحطيم عواصم أوروبا وحواضرها ومصرع الملايين من أبنائها.

ليس هذا وحسب، حتى على صعيد الدولة ضمن حدودها، من يجرؤ على المكابرة ليقول لنا ان ايطاليا اليوم هي ايطاليا موسوليني بقيمها ونظامها ونظراتها. وكذلك هل أسبانيا فرانكو هي نفس اسبانيا كارلوس، وبرتغال سالازار هي برتغال ثورة نيسان؟ والمانيا ألم تصبح المانتين بينهما خلاف جوهر القيم والنظرة والنظام ما يفوق جدار برلين ارتفاعا؟ حتى فرنسا – ولفرنسا مكانتها الخاصة لدى الجبهة – هل هي ذاتها فرنسا قبل ديغول لكي لا نقول فرنسا لويس الرابع عشر أو فرنسا بونابرت! وبريطانيا، هل هي نفسها التي كانت لا تغيب الشمس عن مستعمراتها فأصبحت كوكبا في الفلك الأميركي؟

ان «**القيم والنظرة والنظام**» الذي تزعم الجبهة انها نفس قيم اللبنانيين ونظراتهم ونظامهم هي نفسها التي احتمى وراءها الأوروبيون في استعمار ثلاثة أرباع الكرة الارضية، فلم يتركوا بلدا إلا استعمروه، ولا قارة الا وامتصوا مواردها، ولا شعبا الا واضطهدوه. هكذا في أفريقيا، وفي آسيا، وفي أميركا اللاتينية. وحتى في أميركا الشمالية حتى كانت الثورة هناك فالاستقلال.

ان «القيم» التي نعتز بمشاركة أوروبا، أو غيرها، في حملها والدفاع عنها هي قيم المحبة والعدل والسلام والجمال، تلك القيم التي كان لأفراد من أوروبا أياد بيضاء عليها، ورعتها وحمتها ودافعت عنها.